كلمة الأمير جعفر الحسني (١)

زميلنا الكريم ،

عهد إليّ مجمعنا العلمي الردّ على كلمتك الرقيقة التي أودعتها عاطر الثناء على هذه المؤسسة العلمية الفتية التي دعتك اليها وعلى ما وجهته من شكر الى أعضائها لضمك الى عداد أسرتهم .

لا يتمّ عزاؤنا يا صديقي العزيز بفقد أي زميل الا اذا عوّضنا عنه بخلف مثله أو خير منه يحيي بيننا ذكراه ويواصل مسعاه ، فكنت أيها الزميل الكريم خير خلف لفقيدنا معروف الأرناؤط تغمده الله برحمته ، وقد وفيته ببحثك حقه وأديت نحوه واجب الزمالة ، وكان لحديثك عنه أطيب الأثر في نفوسنا فجزاك الله عنه وعنا خير الجزاء .

ان من عرف الفقيد بالأمس وعرفك اليوم يجد فيك كثيراً من مزايا المرحوم وفضائله العلمية والغيرة على ماضي الثقافة العربية ، فقد اتحدتما في الغاية وان اختلفتما في النهج وكلاكما بحاثة وكلاكما جوال في آفاق أمجادنا الغابرة ، فأنت تعمل لإحياء نفائس تراثنا الدفين في خزائن الكتب ، وكان الفقيد ينبش من ثنايا الكتب مفاخر تاريخ العرب المجهولة فيصوغ من حوادثها ووقائعها بأسلوبه البليغ وخياله المبدع قصصاً يبعثها في دنيا العرب عبرةً وذكرى . فأديتما لوطنكما بعملكما أجل خدمة علمية وقومية ، وأيّ غاية أنبل من وصل حاضرنا المكلوم بحقيقة ماضينا وعزته .

سادتي ،

يتعذّر على المرء مهما سمت مداركه وعظمت مواهبه أن ينطلق في عمله من

(١) ألقاها في الجلسة التي عقدت لاستقبال الدكتور سامي الدهان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العدم ، بل هو يحتاج كأي صانع بسيط لعدة ومادة ، وعدة المشتغل بالعلم هو ذاك التراث الذي خلفه لنا السلف لننتفع به في يومنا وغدنا .

ان من الجحود أن نزهد بماضينا وأن لا نتطلع الا الى حاضرنا ومستقبلنا وأن نعرض عن حقائق الماضي ونعلق مصيرنا بأوهام المستقبل . ان المستقبل يا سادتي ليس هو من صنعنا ولا بأتينا بشيء ولا يمنحنا شيئاً من عنده بل يتطلب منا في بنائه كل شيء ، ولولا نفحة الحياة التي نستمدها من معين تراثنا الذي تمثلتـه نفوسنا وكيفته ظروفنا لما وجدنا من واقعنا ما نغذي به مستقبلنا لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، فمن الاثم إذن أن ننتقص قدر ماضينا ونعمل على هدمه بأيدينا ، وأن نصانع القائلين بأن التغني بالماضي والحرص على احيائه حركة رجعية يجدر التحرر منها ، وشر ما بذرته الشعوبية في نفوس فئة من أبنائنا هي فكرة الفصل بين غابر أمتنا وحاضرها لإخماد نور هذا النبراس الذي نتلمس على ضوئه إحكام بناء مستقبلنا ومشاكلنا . لقد أجمع العالم بأنه لا يوجد أي منافضة بين الماضي والمستقبل ولا يمكن عزل بعضها عن بعض ، فالحاضر هو امتداد الماضي كما ان المستقبل هو وليد الحاضر ، وليس الماضي وهماً وخيالاً بل هو على اتصال وثيق بالحاضر ، والشعوب الناهضة هي التي تحيى دائماً بروح تاريخها ، وتاريخ الأمة هو وحدة لا تتجزأ كما ان الطبيعة البشرية لا تتبدل في فضائلها ونقائصها ، وحوادث التاريخ حافلة بشواهد ما انطوت عليه غريزة الانسان من خير وشر .

سادتي ،

ان كانت الظروف لا تتكرر والأحداث لا تتشابه فان عواملها عند الانسان لا تتبدل ، ونتائجها واحدة في كل زمان ومكان وقد أسفر عنها بعد تجارب طويلة وضع قوانين تاريخية هامة وتقرير قواعد اجتماعية يصعب علينـا التنكر لها وخرق حرمتها دون أن نعرض مجتمعنا الى التصدع والانهيـار ، ولا يمكن توحيد مثلنا العليا والالتفاف حولها وتوجيهها كما يفرضه علينا اخلاصنا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لوطننا ورغبتنا الصادقة في اعلاء كلمته الا بمعرفة ماضينا من جميع نواحيه وعندها نستطيع تقدير عزيمة السلف والاعتزاز بما حققوه من جلائل الأمور بوسائلهم الضعيفة وامكانياتهم المحدودة وقتئذ ، فمن العجز ان لا نقتفي أثرهم ولا نعمل عملهم والوسائل عندنا اليوم متوفرة والامكانيات جاهزة والعزائم ان شاء الله صادقة .

إن أبرز ما يتحلى به زميلنا الجديد الى جانب ثقافته الغربية هو هذا الايمان ، الايمان بعظمة ماضينا والاعتزاز بثقافتنا العربية ، ولذلك رأيناه يتحول عن التأليف الى البحث عن المخطوطات العربية القديمة والتنقيب في خزائن كتب الغرب والشرق يحصي نفائسها ، ودأب على تحقيق أنفعها ونشرها خدمة للعلم ووفاء لمؤلفيها . ولا نستغرب منه هذا الاتجاه الذي ارتضاه لنفسه وفضله على سواه وهو من تلاميذ بقية السلف الصالح الشيخ بدر الدين النعساني والشيخ راغب الطباخ من أعضاء مجمعنا رحمهما الله ، وهما كما تعلمون من أوسع الناس اطلاعاً على تراث السلف وأشدهم غيرة على بعثه ، ولا أريد أن أتوسع بالكلام عن زميلنا الجديد إذ ليس هو بغريب عنا فقد عرفناه جميعنا عاملاً مجداً واطلعنا على انتاجه العلمي الخصب ، وسيرة المرء آثاره ، وآثار زميلنا تغني عن التعريف ، وكان رئيسنا مؤسس هذا المجمع رحمه الله من المعجبين بزميلنا الجديد ومقدراً جهوده ونشاطه العلمي ومتمنياً ضمه الينا وقد جاء انتخابنا له محققاً لرغبة الفقيد ووفاءً لأمنيته . وكان أستاذنا رحمه الله يعتمد الشباب ويعقد عليهم الآمال الجسام ، وكان يحب شباب العمر وشباب العقل والقلب ، وهو الذي عرف كيف يهزم الشيخوخة ويتغلب عليها في جميع أدوار حياته ، ولم تجد لروحه ونشاطه سبيلاً . وقد جمع والله الحمد زميلنا همة الشباب وحكمة الشيوخ .

إني أيها الزميل الكريم أرحب بك باسم مجمعنا العلمي العربي أجمل الترحيب ، وإنك حللت بين زملاء لك عرفوك فقدروك حق الله آمالنا فيك ، ووفقك الله في رسالتك ونفع بعلمك بلادك .

جعفر الحسني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net